

رفقاً بنا يا عمي رسول

ما أقرب اليوم من البارحة، فما زلت أتذكره جيداً على دراجته الهوائية الهندية الصنع (الصتي ٦).. وهو يجوب طريقه للعمل بورشة الحدادة والألومنيوم من الفريج الشمالي إلى مقر جده واجتهاده هناك.

نعم، عاش يتيماً من بعد والده الحاج موسى بن محمد بن أحمد بن علي القرين، وتجلبب برداء والدته (رحمها الله)، ورعاية إخوته (أحمد، وموسى، وعلي، وحبیب، وعبد الله، وخاتون، وزينب)، (فرحم الله الحاضر منهم والراحل كذلك يا رب العالمين).

فقد نقلت لي جدتي، وكذلك أبي عنه (سلمه الله): "كان يحفظ الزيارة كاملة منذ أن كان عمره تسع سنوات بشكلٍ ملحنٍ كما هو معتاد على صغر سنه، حيث كان يردد مع المزور".

وما إن ظهرت حملة عضيدته حبيب (رحمه الله) بين الحملات للحج والعمرة إلا وكان على القائمة بالمرافقة والتعليم من بدايات العام الهجري ١٤٠٠هـ.

ولم أبحر أستحضر الذاكرة وكأنها بالأمس القريب في طريقنا للمدينة المنورة بين رياض الخبراء، والحناكية بالأعياد، وكذلك في موسم الحج على وجه التحديد بالباص الأصفر، والمرسيدس (اللوري)، وطبخ الربيان المجفف بالدرب!

حيث كانت البسمة ترتسم على مٌحياه، والزوار يتوافدون عليه بالمساعدة كدليلٍ مبادرٍ، وكذلك اتباع خطواته للذهاب للبقيع والحرم المدني، وأحد، والقبلتين، وكذلك لمسجد قباء، والمساجد السبعة...

الغريب في هذا الرجل يستمتع بذلك التعب بشكل عجيب وملفت، والذي شكل فوق أنامله الخير الوفير، والدعاء المستنير من تعليم الفاتحة وسورة التَّوْحِيد لهم إلى ثغر الماء القراح للوضوء وأمور الصلاة ونحوها..

ناهيك عن مسجد الشجرة (مِيقَاتُ آبِيارِ علي) ورداء الإحرام، والمسافات الشاقة والوعرة بين الأماكن المقدسة كمنى، وعرفات، ومزدلفة، ودحلة الجن وشعب بني النجار وغيرها.

فرحم الله أبادٍ حملت ماء زمزم إلى ذاك الكفيف، ورحم الله ذاك القلب الحاني الذي حينما رأى ذلك الرجل الكبير، وقد توغل في جسده الوجع، وصعوبة تمام المناسك.. شدَّ على عكازته وقال له بكل لينٍ ولهجةٍ حساوية: "وكلني عنك يا حجّي ولا عليك". .. دون حفة مالٍ مسترجعة إلا في كلمة مستوحاة بالدعاء الجليل..

فهل تذكر يا عم الحاج عبد الله الحاجي محمد وحسن الدهنين وعبد الله الخليفة ويوسف الدخلان وحجي حمزة الفهيد من الهفوف؛ وأبو سعد السيحان من قرية الفضول؛ وأبو يحيى الصقر من الشهازين؛ وحجي الديرم من الجبل، وأبو علي المنسف من السيايرة؛ وسادة الحداد من العمران؛ وحملة شيبة بالطرف؛ وحملة الكريمي بالحليّة؟

أم أن حملة المرحوم السيد محمد غدير (العلي) ألهمت خاطرك وتسيدت نواظرك؛ وأرفلت عليك من تمر المطيرفي رقتها وحلاوتها ولونها وفحواها ونجواها بالحنين؟

نعم، لا زلت أذكرك وقد أحللت من إحرامك للعمرة المفردة في حج عام ١٤٠٩هـ مع حملة أخرى بالتقدم لأداء الأعمال، وما إن رأيت حجاج حملة عضيدك إلا وأتممت معهم المقام لثلاث دفعات متتالية، دون كللٍ يذكر، أو مللٍ ينخر.. ليكون في ثغرك الباسم أربع تميرات التمام، والصلاة على خير الأنام.

أنا أعرف بأنه طال بنا المقام، وما ذاك الشاي المخدر الرقراق إلا مستوحىً على (مندقة) يد الحاج المرحوم خضر القريني في شارع الحدايد بهفوف الأحساء.. فرفقاً بنا يا مشلح الطاعة، وكرم الاستطاعة بالقرى ورداء الطين..